سفارات الأرمن الى المغول
وأثرها على العلاقات الأوربية المغولية

اعـــداد

دكتور / حسين محمد عطية

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب ـــ جامعة طنطا

لم يدر فى بال البابا أوربان الثانى ـــ عندما ألقى خطبته الشهيرة فى مؤتمر كليرمونت الكنسى (٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م) ـــ ولا فى بال الذين استجابوا لدعوته الصليبية ، لم يدر فى بالهم جميعا ، أن صراعهم ضد المسلمين فى الشرق الأدنى الاسلامى سيجذب أطرافا أخرى غيرهم[1] . ومن الطبيعى أن يكون البيزنطيون والأرمن هم أول من يجذبهم هذا الصراع بحكم علاقاتهم القديمة بالمسلمين ، وبحكم علاقاتهم الجديدة مع الصليبيين ، والتى فرضتها ظروف الحملات الصليبية المتتابعة الى جانب السياسات الصليبية والاسلامية التى نتجت عن استقرار الفرنج فى بلاد الشام وأعالى الفرات ، ولكن طرفا جديدا اجتذبه هذا الصراع بعد أكثر من مائة وخمسين عاما من بدايته .

---

(١) لم يذكر البابا فى خطبته عدوا سيواجهه صليبو الحملة الأولى سوى السلاجقة .

Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. by F.R. Rayan as a History of Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969, pp. 65 — 67 .

ونعنى بهذا الطرف التتار الذين لم يكن لأحد — سواء من الصليبيين أو المسلمين — يد فى ظهورهم على مسرح الأحداث[٣] .

وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد ، شكل التتار خطـــرا بدا وكأن أحدا لن يكون بمنأى عنه . وبينما كانت جحافلهم تجتاح الدول الاسلامية فى فارس وفى آسيا الصغرى[٣] كان الغرب الأوربى يمعن فى تجاهله للتحذيرات التى توالت على مسامعه محذرة من الخطر القادم نحوه من أقصى الشرق[٤] وباجتياح التتـــار لشرق

---

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، حـ ٢ ، ص١٠٩٨ ، جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشـــام (هزيمة لويس التاسع فى بلاد الشام ، الطبعة الرابعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص٢٥٥ .

(٣) قضى التتار على دولة الخوارزمية فى فارس فى عام ١٢٣١م/٦٢٨هـ وفى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ تمكنوا من هزيمة كيخسرو الثانى سلطان سلاجقة الروم وأخضعوه واملاكه لسلطانهم . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ٥ ، تحقيق الدكتور حســنين ربيع ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص١٨٣ — ١٨٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جـ٣ ، تحقيق سامى الدهسان ، دمشق ١٩٥١م حـ٣ ، ص٢٣٩ — ٢٤٠ . راجع أيضـــا :

Juvaini (Ala - adin Ata Malik), The History of the World Conquerors, Trans. by J.A. Boyle, 2vols, Manchester, 1958, Vol. 1, pp. 506 — 508 .

(٤) وصلت التحذيرات من الخطر المغولى الى غرب أوربا من عدة مصادر . كان أولها فى عام ١٢٣٨م حيث بعث اسماعيلية الشام الى ملكى انجلترا وفرنسا يعرضون عليهما التحالف ضد التتار أعداء الحضـــارة . وقبل عرض الحشيشية بفتور عبرت عنه كلمات اســقف ونشستر الى هنرى الثالث ملك انجلترا « دع هؤلاء الكلاب يدمرون بعضهم البعض وستقوم الكنيسة الكاثوليكية العالمية على انقاضهم ، ويومئذ سيكون هناك قطيع واحد وراع واحد فقط » . كما بعث امير جاليكيا وملكة جورجيا الى البابا جريجورى التاسع والامبراطور فردريك الثانى يظهر كل منهما للعاملين الأوربيين خطورة الموقف فى الشرق . انظر :

=

أوربا ، بدا الغرب الاوربي يبحث عن وسيلة للنجدة • وكانت البابوية هي أول من تحرك من القوى الصليبية في غرب أوربا لعلاج مشكلة التتار[٥] • وكان هدفها هو ايقاف المد المغولي ، باستمالة التتار الى المسيحية ، ربما توطئة للافادة منهم في الجهد الصليبي ضد المسلمين[٦] وكما فشل مسلمو فارس وآسيا الصغرى ومسيحيو شرق أوربا في النجاة من الخطر المغولي ، كذلك فشل الغرب الأوربي في استمالة المغول[٧] • وبينما فشل كل هؤلاء ، نجح أرمن قيليقية في تفادي الخطر المغولي ، بل وفي الافادة من وصول التتار الى منطقة الشرق الأدنى ، وقد تحقق ذلك من خلال ثلاث رحلات قام بها سفراء من الأرمن الى البلاط المغولي في الصين وفارس • ولم تنل هذه الرحلات الثلاث من اهتمام المؤرخين المحدثين — وخاصة من مؤرخي الحركة الصليبية — ما نالته غيرها من رحلات بعثت بها القوى الصليبية في غرب أوربا الى البلاط المغولي ، هذا فضلا عن أن هؤلاء المؤرخين عالجوا الرحلات الأرمينية في ضوء العلاقات الخاصة بين الأرمن والتتار ، على الرغم من أن هذه الرحلات لا تقل أهمية عن مثيلتها الأوربية • ذلك أن النصوص التاريخية التي تضمنت تفاصيل هذه الرحلات احتوت على

= Matthew Paris. Chronica Majora, ed.H.R. Laurd, in R.S., 7 Vols, London, 1872 — 82, Vol. 4, pp. 112, 119, C. Rodenberg. Epistolae Saeculi XIIIe Registis Pontificum Romanorum Selectae, 3 vols, Berlin, 1883 — 1894, in M.G.H., Vol. I, pp. 765, 796, C.F. also, Denis Sinor Les Relations entre les Mongols et l'Europe Jusqu'a la mort d'Arghon et de Bella IV, in J.W.H., Vol. 3, 1956, pp. 35 - 36.

(5) J. Richard, The Mongols and the Franks, in J.A.H. Vol. 3. pp. 46 — 47 .

(٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص١٠٩٩ ، جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص٢٥٦ .

(٧) انظر ما يتقدم ، ص٢٠٣ — ٢٠٦ ، ٢٠٩ — ٢١٣ .

معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد الشرق وعن التتار لا تقل أهمية — ان لم تكن أهم فى بعض الأحيان — عن النصوص اللاتينية التى وصفت رحلات المبعوثين الأوربيين الى الشرق • كذلك تثبت النصوص الأرمينية التى تعرضت لهذه الرحلات الثلاث ما لها من أثر فى تشكيل واستمرار العلاقات بين التتار وبين القوى الصليبية فى غرب أوربا • وقد استهدفنا فى هذا البحث القاء الضوء على كل ذلك • ولا يتأتى هذا الا بمحاولة تتبع الارتباط الزمنى بين كل من سفارات الغرب الأوربى وبين السفارات الأرمينية الثلاث الى حكام المغول فى الصين وفارس ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بين ما حققته السفارات الأولى وبين ما حققته الثانية من نتائج •

جاء أول رد فعل لغرب أوربا تجاه الخطر المغولى من قبل البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ — ١٢٥٤م) الذى كان قد شرع بالفعل قرابة منتصف القرن الثالث عشر فى الاعداد لحملة صليبية للدفاع عن أوربا[٨] وفى عام ١٢٤٥م / ٦٤٣هـ دعا البابا لانعقاد مؤتمر ليون الكنسى أساسا لايجاد علاج ضد خطر التتار «Remedium Contra Tartaros» [٩]

---

(8) W. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton, Vol. 5, Wisconsin. 1985. pp. 470 — 471.

(٩) عقد مجمع ليون الكنسى لمناقشة تهديد الامبراطور فريدريك الثانى للبابوية ، ولأن مشكلة الخطر المغولى كانت هى مشكلة الساعة ، فقد اولاها المجمع أهمية خاصة . وقد تقرر « لأن التتار ، اخطر أعداء المسيحية لم يتم كبح جماحهم بعد ، ومما زال المسيحيون معرضين لهجماتهم ، وربما يعاودون الهجوم على أوربا ، ولأن غرضهم هو القضاء على الدين المسيحى ، فان المجمع يهيب بكل معتنقى المسيحية بسد كل الطرق امام العدو ، سواء بحفر الخنادق أو اقامة الاستحكامات ، وبأى وسيلة يرتأى أنها أوفق لهذا الغرض . وأن يتقدم كل من يشهد ظهور طلائع العدو المغولى بابلاغ =

ولم يكتف البابا بتلك الاجراءات بل سارع بايفاد ثلاث سفارات الى المغول(١٠) تحمل جميعها دعوة البابا الى ايلخان المغول ، يدعوه فيها الى اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكى واحلال السلام محل الحرب بين الغرب والتتار(١١) . وبينما لم تتوفر لدينا أية معلومات عن واحدة

البابا فورا ، لاتخاذ التدابير لحماية الشعب المسيحى . ووعد المجلس بأن تساهم كنيسة روما فى تكاليف الدفاع عن المناطق التى تتعرض لهجمات المغول » . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 411 ;

D. Rynaldus. Annales Ecclesiastici, 15 Vols, Lucca, 1747 — 56. Vol. 2, p. 332 .

C.F. also. L. Pelliot, Les Mongols et la Papauté, in R.O.I., Vol. 3, 1922 — 23, pp. 238 — 240 .

(١٠) رأس السفارتين الأولتين راهبان من الفرنسيسكان ، الأول هو لورنس البرتغالى والثانى هو جنا بلانو كاربينى . بينما رأس السفارة الثالثة راهب من الدومنيكان وهو اسلين اللومباردى . ورحلت الثلاث سفارات من أوربا فى مارس — ابريل ١٢٤٥م . وللمزيد عن هذه السفارات واعضائها . انظر :

W. Baldwin, Missions, pp. 471. pp.

; A.S. Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages, London. 1938, pp. 238 ff.

(١١) كان خطاب البابا الذى حمله لورنس البرتغالى مؤرخا بالخامس من مارس ١٢٤٥م . أما الخطاب الذى حمله كاربينى فقد كان مؤرخا بالثالث عشر من نفس الشهر . ولم نقف على نص الخطاب الذى حمله اسلين اللومباردى فى أى من المصادر التاريخية : انظر :

Rodenberg, Epistolae Eaeculi, Vol. 2, Nos, 105, pp. 72 - 75.

من السفارات البابوية الثلاث[١٢] فقد عادت السفارتان الأخرتان برد مغولى واحد • فقد عاد كاربينى من البلاط المغولى برسالة حملها لـه جيوك ايلخان المغول يطلب فيها من البابا انوسنت الرابع أن يأتى بنفسه الى قراقورم ومعه ملوك غرب أوربا وامراؤه ليعلنوا خضوعهم لجيوك بعد أن يقوضوا أركان قلاعهم وحصونهم[١٣] • وبنفس الرد عاد المبعوث البابوى الثالث أسلين من قبل بيجو قائد القوات المغولية فى غرب آسيا ، الذى يعبر عن السياسة العامة لسيده باطو ، زعيم القبيلة الذهبية التى فتحت جنوب روسيا[١٤] • وبذلك اتضحت أمام

---

(١٢) لا يوجد أى تقرير عن رحلة لورنس البرتغالى الى الشرق ولا عن عودته الى غرب أوربا . انظر :

G. Guzman, Simon of Saint - Quintin and the Dominican Mission, The Mongol Baiju : A Reppraisal, in Speculum, Vol. 46, 1971, p. 234.

راجع ايضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى ، ص٢٥٨ .

(١٣) أورد كاربينى نص رسالة جيوك الى البابا منفصلة عن روايته عن رحلته الى الشرق . كما ورد نص آخر لها فى حولية سالمبين . انظر :

John of Plano Carpini, History of the Mongols, in The Mongol Mission, ed. by Christopher Dawson, London, 1955. pp. 85 - 86.
Chronica de Salembene, in M.G.H., Vol. 32, pp. 207 — 208.

وقد أرخ النصان بشهر نوفمبر . ويؤرخهما رهرشت بالحادى عشر من هذا الشهر . انظر :

R. Rohrich, Regesta, regni Hierosolymitani; Oeniponti, 1893. No. 1147, pp. 302 — 303 .

(١٤) أورد فنسنت دى بيفيه النص الكامل الذى وضعه سيمون أوف سان كوبنتين الذى رافق اسلين فى رحلته الى الشرق متضمناً خطاب بيجو الى البابا . والخطاب مؤرخ بالعشرين من يوليو ١٢٤٧م . كما أورد متى الباريزى نص الخطاب بدون تاريخ . انظر :

Vincent de Beauvais, Speculum Historiale; Graz-Austria, 1965, Lib. 31, Ch. 51, p. 1303, Mattew Paris. Chronica Majora Vol. 5, p. 37 .

البابا السياسة انعامة للمغول ، وهى اخضاع العالم من « مشارق الارض الى مغاربها بارداة الله وارادة جنكيزخان »[١٥] • واذا كان البابا قد أدرك أن رد العاهلين المغوليين يعنى أنه فشل فى استمالة المغول سياسيا ، فانه أدرك من ردهما أيضا ما هو أهم • فبينما أوضح ايلخان المغول — جيوك — فى رده على رسالة البابا أنه لا يعلم شيئا عن الرب الذى يعبده البابا ، ولا يعرف الا الهه الذى يعبده المغول ولا يخضع الا لارادته وارادة جنكيزخان التى قدرت أن يجتاح المغول العالم بأسره ويخضعونه لسلطانهم[١٦] ، فقد أعلن بيجو صراحة رفضه لدعوة البابا له باعتناق المسيحية[١٧] • وبذلك أدرك البابا انوسنت الرابع فشله فى استمالة المغول الى المسيحية ، الأمر الذى يقضى على أمله فى صد خطرهم عن غرب أوربا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فى التحالف معهم ضد القوى الاسلامية فى الشرق الأدنى[١٨] ، ومن جهة ثالثة يوضح لنا أهمية السفارة الأرمينية الأولى الى المغول •

أما عن علاقة الأرمن بالمغول فى عام ١٢٤٣م / ٦٤١هـ فقد بدأت فور اخضاع الاخيرين لمملكة آسيا الصغرى • فبادر هيثوم الأول ملك قيليقية الأرمينى[١٩] بأن بعث بخطاب يفيض بالولاء أعلن فيه

---

(15) Carpini, p. 86, Vincent de Beauvais, Op. Cit.

(16) Carpini, p. 86.

(17) Vincent de Beauvais, Speculum Historiale. Lib. 31, Ch. 51. C.F. also, Pelliot, Les Mongols et la Papaute, in R.O.L., Vol. 4. 1924, p. 237.

(١٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ١٠٩٨ ، جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى ، ص٢٥٦ •

(١٩) وهو أول ملوك قيليقية من اسرة هيثوم ، وتولى الحكم بعد موت ليو الثانى آخر ملوك اسرة رومين ، (١١٨٧ — ١٢١٩م) وكان ليو قنسطنطين جاثليق الأرمن الذى تولى الوصاية على ايزابيل ابنة ليو الثانى =

قبوله للسيادة المغولية وخضوعه لها[٢٠] . ذلك أن هيثوم أدرك مدى قوة المغول ، وانه ليس في مقدوره مقاومتهم أو الدفاع عن مملكته ضد هجماتهم الخطيرة ، في الوقت الذي أسرع كل سيد أو حاكم من حكام الشرق الأدنى ، رغبة في الحفاظ على بلاده وعلى شيء من الحكم الذاتي ، الى اعلان خضوعه للغزاة الجدد . وبانسحاب المغول من المنطقة[٢١] تعرضت املاك هيثوم لضغط سلجوقي جديد[٢٢] . ففكر في الاستفادة بعلاقته بالمغول الذين ربما يعيدون ادراجهم الى

=

ثم زوجها لابنه هيثوم في عام ١٢٢٦م ليحكم كملك لقيليقية حتى موته في عام ١٢٦٩م . انظر :

Sempad, le Connétable, Chronique du Royaum de la pétite Arménie, RH.C. - Doc. Arm. Vol. 2, p. 648. C.F. also. W.H. Rudt Collenberg, The Rupenides, Hethumides and Lusignans, The Structure of the Armeno-Cilician Dynasties, Paris, 1963, Passim .

(٢٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣ ، ص٢٣٩ — ٢٤٠ . راجع ايضا :

Juvaini, pp. 507 — 508 .
Vincent de Beauvais, Lib. 30. Ch. 147.

(٢١) مات اجوداى Ogodai ايلخان المغول في ديسمبر ١٢٤١ م ثم لحق به خلفه جيوك Guyuk في ابريل ١٢٤٨م ، وقامت الخلافات بين امراء المغول حول العرش وانتهت بتولي منكو للعرش بمساعدة باطو نائب والده جنكيزخان في غربي آسيا . وتولى شقيقه هولاكو الحكم في فارس . بينما تولى شقيقه الثاني قوبلاى الأمور في شرقي الصين . انظر :

Juvaini. pp. 501 — 502, 546. C.F. also, J.A. Boyle, Dynastic and Political History of the Ilkhans, in C.H.R., Vol. 5, P. 336.

(٢٢) قام غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم بحملة على قيليقية انتقاما من الارمن الذين سلموا امه وشقيقته للمغول عندما هربتا من هجوم المغول على ملطية في عام ١٢٤١م / ٦٤١هـ . انظر :

Sempad, Chronique. pp. 649 — 651. C.F. also J. Richard, An Account of the Battle of Hattin, in Speculum, Vol. 27, p. 173.

المنطقة ، وقرر بناء على نصيحة والده وأمرائه أن يتصل بايلخان المغول وأن يتجه بنفسه الى البلاط المغولى فى قراقورم[٢٣] . وللتمهيد لمثل هذه المهمة الدقيقة ، وضع هيثوم عينه على شقيقه وقائد قواته وكند سطبل مملكة سمباد[٢٤] . وكان أن توجه سمباد فى عام ١٢٤٧م / ٦٤٥هـ الى البلاط المغولى لمقابلة جيوك ايلخان التتار محملا بالهدايا النفيسة كسبا لود جيوك وطلبا لعونه فى ايقاف المطامع السلجوقية فى مملكة أخيه ، كما حدد لنا المؤرخ الأرمينى هايتون الهدف من رحلة سمباد[٢٥] .

واذا كان سمباد لم يورد أية تفاصيل عن رحلته فى حوليته المشهورة[٢٦] ، كما شاركه فى ذلك كل مؤرخى الأرمن المعاصرين ، فقد ترك لنا سمباد وثيقة كتبها بيده تتضمن كل ما يمكن أن نعرفه عن رحلته من تفاصيل ، وهى رسالة كتبها فى ٦ فبراير ١٣٤٨م / ٦٤٦هـ وبعث بها من سمرقند ، وهو فى طريق عودته الى بلاده — الى هنرى الأول ملك قبرص (١٢١٨ — ١٢٥٣م) زوج شقيقته ستيفانى ، يحدثه فيها

(23) Hayton, la Flor des Estoires de la Terre d'Orient, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 2. p. 163.

(٢٤) وهو المؤرخ الأرمينى المعروف الذى وضع تاريخا لمملكة ارمينية الصغرى ، الى جانب ترجمته لقوانين انطاكية الى اللغة السريانية . وبينما اضطلع أبوه قسطنطين بتوجيه سياسة الدولة واخوه هيثوم الحكم كملك تولى سمباد مركز الكند سطبل . ومات فى عام ١٢٧٦م / ٦٧٤هـ اثناء تصديه لغارة قام بها التركمان من مرعش على قيليقية . وللمزيد عن حياة سمباد واعماله ، انظر :

C. Cahen, La Syrie du Nord, Paris, 1940, p. 99.

راجع ايضا : حسين عطية : امارة انطاكية ، ص ٦٥ — ٦٦ .

(25) Hayton, la Flor, p. 163 .

(٢٦) « توجهت انا الكوند سطبل سمباد الى التتار » هذا كل ما ذكره سمباد فى حوليته بخصوص رحلته الى البلاط المغولى . انظر :

=

عن رحلته الى الصين[٢٧] • ويوضح كيف وجد المغول وقد اخضعوا كل اسيا الشرقية والوسطى ، وكيف أن الكند سطبل لم يستطع حصر أيا قوات مغوليه صادفها فى رحلته لما لهم من كثرة عددية ، وانهم يجيدون رمى السهام ، وكيف افزعه مظهرهم وملامحهم القبيحة ، وبعد ذلك يروى سمباد لصهره مبلغ ما يعانيه مسلمو آسيا الوسطى من السلطات المغولية من قمع واضطهاد ، وكيف يعاملون المسيحيين من السكان بتسامح وتلطف ، ويذكر سمباد أنه صادف العديد من الكنائس فى اقليم سمرقند وزار احدى هذه الكنائس وتعبد فيها ، ورأى فيها صورة المسيح عليه السلام وملوك المجوس يقدمون له الذهب • ويشير سمباد الى أن الطقوس المسيحية تؤدى فى هذه الكنائس على النسق الكاثوليكى ، ثم يؤكد أن كيوك ايلخان التتار قد أمر بحرية العبادة بالنسبة للمسيحيين وعدم التعرض لهم أو لكنائسهم « بالفعل أو بالقول » • ويرجع سمباد الفضل فى تحول مغول آسيا

---

(٢٧) كتب سمباد هذه الرسالة باللغة الفرنسية السائدة آنذاك . وأوردها وليم دى نانجيز فى كتابه عن حياة لويس التاسع . ونشر هذه النسخة هنرى يول كما نشرتها جمعية الاباء المختارية بالبندقية كأحد الملاحق مع قوانين انطاكية . وأوردها فنسنت دى بيفيه فى مرآته التاريخية باللاتينية .

Guillaume de Nangis, Vita Sancti Ludovici regis Franciae in H.G.F., Vol. XX. pp. 360 — 362, Vincent de Beavais, Speculum Historiale, Lib. 31, Ch. 92, Assises d'Ancioche, Dédites a L'Académie de inscriptions et Belles-Lettre de France par la Société Mekhithariste de Saint-Lazare. Venise, 1876, pp. 90 — 91. C.F. also, Rohricht, Regesta, No. 1100, pp. 304 — 305, Henry Yule. Cathay and the Way Thither, in the Hakluyt Society, 2nd Series. 38, Vol. I, London. 1910, pp. 262 — 263.

وقد اعتمدنا هنا على نسخة الخطاب التى دونها سمباد بالفرنسية القديمة .

الوسطى الى المسيحية الى بركة المسيح التى جعلت التتار يؤمنون به ويصبحوا هم مسيحيو الشرق بعد ان كانوا يدمرون الكنائس فى هذه المناطق[٢٨] .

وهكذا ودون أن يذكر سمباد فى رسالته الى صهره ملك قبرص ما تم بينه وبين ايلخان التتار[٢٩] فقد أوضح لصهره أهمية العنصر المسيحى بين صفوف المغول[٣٠] . وهذا أمر له أهميته بالنسبة لتطور العلاقات بين التتار والسلطات الصليبية فى أوربا . وكان أن وصلت آخر ردود التتار ، التى تبعث على اليأس من استمالتهم ، الى البابا انوسنت الرابع مع آسلين فى سبتمبر ١٢٤٨م[٣١] وفى نفس الوقت (٢١ سبتمبر ١٢٤٨م) كان الملك الفرنسى لويس التاسع قد رسى بأسطوله فى جزيرة قبرص بادءا حملته الصليبية على مصر[٣٢] . ومن

---

(٢٨) وفى نهاية الرسالة يشير سمباد الى رد جيوك على رسالة البابا انوسنت الرابع ، هذا الرد الذى عاد به كاربينى . انظر :

Assises d'Antioche, p. 91.

(٢٩) اتفق كل من هايتون وكيراكوس على أن سمباد قابل جيوك الذى استقبله استقبالا طيبا ، وانجز سمباد كل المهام التى أرسله شقيقه هيثوم من أجلها . انظر :

Hayton, La Flor, p. 163,
Kirakos de Ganjak, Histoire d'Arménie (Extrait) ed. M. Dudaurier, in J.A., 5e Series, Vol. XI, 1858, p. 463.

(30) Carpini, p. XXI.

(31) Vincent de Beauvais, Speculum Historiale. Lib. 31, Ch. 51.

(٣٢) اقلع لويس من فرنسا فى ٢٥ اغسطس ١٢٤٨ م ، ووصل اسطوله الى جزيرة قبرص فى ١٧ سبتمبر من نفس السنة . انظر :

Jean de Joinville. Chronicle of the Crusade of St. Lewis, ed. and Trans. by Frank Marzials, London, 1965, pp. 167ff .

راجع ايضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى ، ص٥٢ .

الطبيعى أن يسمع الملك الفرنسى من هنـــرى الأول ملك قبرص رواية صهره كند سطبل آرمينية عن المغول ، الأمر الذى يختلف تماما عما وصل الى غرب أوربا عن طريق بعثات كاربينى واسلين عن موقف التتار من المسيحية • وكانت رواية سمباد دافعا هاما بالنسبة للملك الفرنسى فى أن يحاول النجاح فيما فشلت فيه البابوية تجاه المغول ، وأن يتمكن من استمالتهم ضد المسلمين الذين شرع هو بالفعل فى العمل ضدهم ، ومن المؤكد أن التحالف مع المغول سيضمن له نجاح حملته على مصر • فأخذ لويس ، مدفوعا بالأنباء المشجعة التى وردت فى رسالة سمباد الى ملك قبرص ، يفكر جديا فى تنفيذ ما جال بخاطره خاصة وقد واتته فرصة الاتصال بالمغول بمبادرتهم بايفاد بعثة مغولية اليه فى جزيرة قبرص(٣٣) تعرض عليه القيام بعمل مشترك ضـــد المسلمين واســـتعادة الأراضى المقدسة منهم (٣٤) • فبعث لويس برده على رسالة المغول فورا مـــع

---

(٣٣) أوفد جغطاى قائد قوات المغول فى تبريز التابعة لباطو قـــائد القبيلة الذهبية ، براهبين من النساطرة أحدهما يدعى داود والآخر مرقس . انظـــر :

Juvaini. p. 184 ; Joinville, p. 168.

وقد وصلت البعثة المغولية الى قبرص فى ديسمبر ١٢٤٨م . انظر :

Baldwin, Missions, p. 476.

وعن دقائق هذه البعثة انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ، الاسكندرية ، ١٩٦٩ م ، ص٦٨ — ٧٢ .

(٣٤) فى الحقيقة كان الغرض من رسالة جغطاى هو ايجاد تأثير طيب لدى الملك الفرنسى حتى يتجنب المغول أية مواجهة مع جيوش لويس اذا ما تقدم التتار غربا نحو العراق . انظر :

Atiya, The Crusaded, pp. 241 — 242.

راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى عـــلى بلاد الشام ، ص٢٦٢ — ٢٦٥ .

رئيس سفارته الأولى الى المغول اندرو دى لونججيمو[٣٥] .

وبالرغم من عودة السفارة بنفس الرد الذى تلقته البابوية من قبل[٣٦] الا أن الملك الفرنسى لم يجد غضاضة فى تكرار محاولته الاتصال بالمغول . وكان مدفوعا فى ذلك بعدة أسباب : فان سفارته الأولى لم تصادف من حكام المغول من هو مفوض باقامة علاقات دبلوماسية ، أو له سلطة التصرف بحرية فى سياسة الدولة الخارجية ، وبالتالى فان السفارة لم تصادف أيا من ايلخانات المغول . وباتالى فقد بقى أمله فى النجاح فى محاولته لاستمالة المغول فى رسالة سمباد الأرمينى عن أهمية العنصر المسيحى بين التتار واعتناق قادتهم للمسيحية وبعد تأكده من صحة هذه المعلومات[٣٧] . وكان أن دفعة رواية سمباد ،

---

(٣٥) كان اندرو عضوا ضمن بعثة اسلين اللمباردى الى بيجو فى ١٢٤٥م وكان على دراية باللغة الفارسية ، وصحبه فى رحلته هذه شقيقه وليم الذى يتقن العربية ، واثنان من الفرسان . وبعث معهم لويس هدايا كثيرة لايلخان المغول جيوك منها خيمة من القماش القرمزى على هيئة كنيسة . انظر : Joinville, pp. 253 — 258. C.F. also,

C. Dawson. The Mongol Mission, London, 1955, p. XIX .

(٣٦) وصلت البعثة الى جغطاى الذى ارسل اعضاءها الى قراقورم حيث مات جيوك وقابلتهم زوجته قلقميش التى ردت على رسالة الملك لويس كوصية على العرش باسم أبنائها الثلاثة الصغار . وطلبت من الملك لويس أن يرسل كل سنة شيئا من ذهبه وفضته كجزية سنوية حتى يبقى على صداقة المغول والا سينال مصير من دمرهم المغول من ملوك . فندم لويس كما يذكر مؤرخه جوانفيل على ارسال بعثته الى الشرق . انظر :

Joinville, pp. 258 — 259.

(٣٧) يؤكد المؤرخ الانجليزى متى الباريزى على اعتناق كل من جغطاى وسارتاق ابن باطو للمسيحية ، ويبين كيف كانت أنباء ذلك تبعث على التفاؤل فى الأوساط الأوربية . ولم يكتشف متى الباريزى ما عرفه وليم روبروك بعد ذلك من ان المغول لم يحبوا أن ينادوا بالمسيحيين بل كانوا يفضلون أن ينادوا بالمغول . انظر :

Matthaw Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 87,
William Rubruck, Itinerarium, in Mongol Mission, p. 122.

وما بها من معلومات عن التتار ، بالملك الفرنسي الى أن يبعث بسفارته الثانيه وأشهر السفارات الأوربية الى المغول ، والتى رأسها الراهب الفرنسيسكانى وليم روبروك[٣٨] • الا أن هذه السفارة قد عادت برد مغولى أعنف مما جاءت به سابقتها التى رأسها أندرو لونججيمو • وقد أورد روبروك فى ثنايا وصفه لرحلته الى البلاط المغولى ، نص الخطاب الذى بعث به منكو ايلخان التتار الى الملك الفرنسى[٣٩] • وقد بدأ منكو خطابه بأن أعلم لويس بالقاعدة التى أرساها جنكيزخان من قبل والتى يسير عليها كل خلفاؤه « ففى السماء اله واحد ، وعلى الأرض سيد واحد هو جنكيزخان ، ابن الرب »[٤٠] ، ثم يؤكد منكو للويس أن رسالته هذه موجهة أيضا — الى جانب الملك الفرنسى نفسه — الى ملوك وأمراء الغرب الأوربى ورجال الدين فيه • ثم يعلن منكو للملك الفرنسى عدم اعترافه بما تم من اتصالات بين لويس وبين المغول من قبل ، خاصة أن رسل الملك الفرنسى لم يصادفوا جيوك خان بل صادفوا بعد موته الوصية على العرش المغولى قلقميش ، وكيف ينأتى

---

(٣٨) ضمت هذه البعثة الى جانب روبروك كلا من الراهب برثلميو الكريمونى وتاجر يسمى نقولا . وخرجت السفارة من عكا فى أوائل عام ١٢٥٢ م الى القسطنطينية ومنها الى معسكر سارتاق ابن باطو بالقرب من نهر الفولى. ثم الى معسكر باطو شرقى النهر نفسه ثم وجههم باطو الى قراقورم التى وصلوها فى ٢٧ ديسمبر ١٢٥٣م حيث قابلو، منكو الذى تولى العرش المغولى فى ١٢٥١م . وفى اغسطس ١٢٥٤م غادرت السفارة مغوليا حيث وصلت الى عكا فى مايو ١٢٥٥م . وكان الملك لويس قد غادرها الى فرنسا . انظر :

William Rubruck, Itinerarium. in Mongol Mission. pp. 89 — 204. C.F. also, H. Howorth, History of the Mongols, 5Vols, London, 1876 — 88, Vol. I, pp. 170ff .

(39) William Rubruck, Itinerarium. pp. 202 — 204.

(40) Ibid.. 202 .

« لهـــذه المــرأة الشريرة ، ... ، ان تعى أمور الحــرب وشــئون السلام ... »[٤١] ثم يملى منكو على لويس أوامره بأن يرسل لويس مبعوثيه مرة أخرى الى الايلخان ليعلنوا خضوع الملك الفرنسى وكل حكام غرب أوربا للمغول ، واذا فكر لويس فى عدم الخضوع للمغول أو فى معاداتهم فسيرى ما سيفعله المغول به[٤٢] • وهكذا فشل الملك لويس فى مسعاه كما فشلت البابوية من قبل ، وفشلت حملة لويس على مصر[٤٣] ، وكان لغرب أوربا أن ييأس من النجاح فى استمالة المغول والاستفادة منهم ضد المسلمين، الا أن الأمل فى ذلك ظل يراود القيادات الصليبية فى الغرب الأوربى • وظلت هذه القيادات تســعى للتحالف مع المغول ، وواصلت ايفاد البعثات الدبلوماسية الى البلاط المغولى دون كلل ، والفضل فى ذلك — فى ظل عنف الردود المغــولية السابقة — يرجع الى الجهد الأرمينى ، الذى تمثل فى رحلات الأرمن الى الصين وفارس •

وكان من الممكن أن يكون الرد المغولى الذى عادت به سفارة وليم روبروك بمثابة الكلمة الفصل فى موقف غرب أوربا من المغول ، وبهذا الرد أيضا كان من الممكن أن تكون محاولة لويس التاسع للتحالف مع

---

(41) William Rubruck, Itinerarium, p. 203 .

(٤٢) « اذا عرفت أوامرنا وأطعتنا ابعث الينا بسفرائك . واذا لــم تطعنا فلا تقل لنفسك ان بيننا وبينكم بحار وجبال ، فستعرف ما فى مقدورنا القيــام به » .

(٤٣) لم تحقق حملة لويس هدفها . فلم تسترد للفرنج بيت المقدس ، ولم تفتح مصر توطئة لاسترداد ما خسره الصليبيون أيام صلاح الدين . ولم يتعد انجازها اعادة بناء بعض استحكامات المدن التى فى حوزة الصليبيين بالشــام . انظر :

J. Richard, La Polotique Orientale de St. Louis, La Croisades de 1248, Paris, 1976, p. 206.

المغول ضد المسلمين هى آخر المحاولات الاوربية فى هذا الشأن • الا انه بعد وصول وليم روبروك الى عكا — حاملا أعنف لهجة مغولية الى غرب أوربا وقياداته الصليبية — بشهر واحد فقط ، جدد هيثوم الأول ملك قيليقية الأرمينى آمال أوربا فى التحالف مع المغول ، بما عاد به من وعود مغولية براقة دفعت بغرب أوربا الى مواصلة الاتصال الدبلوماسى بالمغـــول •

ففى ١٣ مايو ١٢٥٤م خرج هيثوم الأول من بـــلاده متجها الى البلاط المغولى فى جوف القارة الاسيوية بناء على دعوة وجهها اليه منكو ايلخان المغول ، ليبدأ رحلته التى تعد من أهم الرحلات الى الشرق فى العصور الوسطى • فهى لا تقل أهمية عن رحـــلات كل من كاربينى وآسلين ووليم روبروك الى الصين ، ان لم تكن قد تفوقت عليها فى جوانب كثيرة(٤٤) • وتعتبر النصوص التاريخية التى تضمنت وصـــف دقائق هـــذه الرحلة(٤٥) ، أو تلك التى تضمنت نتائجها(٤٦) من أهم

---

(44) J.A. Boyle, The Journey of Hetum I, King of Little Armenia, to the Court of the Great Khan Mongke. in C.A.J., Vol. 9, 1964, pp. 175 — 176, E. Bretschneider, Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources, 2Vols. Landon, 1888, Vol. I. 164.

(٤٥) انفرد المؤرخ الأرمينى كيراكوس الكانتراجى Kirakos Kantzaguetsi (من مواطنى مدينة كانتراج) المعاصر للملك هيثوم الاول • بوصف هذه الرحلة لانه كان احد الذين حكى لهم الملك دقائق رحلته الى البلاط المغولى، كما يفهم من النص نفسه « وحكى الملك العالم هيثوم عن هذه الشعوب (المغول) البربرية أشياء أخرى كثيرة ... » • وقد نشر دولبريه هـــذا النص فى الجريدة الاسيوية • كما نشر برتشنيدر نسخة أخرى لهذا النص ولكنها لا تضم الجزءالأخير الذى يشير الى عادات وتقاليد وعبادات المغول. واعتمد برتشنيدر فى ذلك على ترجمات سابقة لنص كيراكوس • ويبدو أنه لم يعرف شيئا عن النسخة التى نشرها دولبريه • كما نشر بويل هذا النص فى عام ١٩٦٤م بالانجليزية • وقد انحصرت مهمة كليهما على نقل =

النصوص التاريخية المتعلقة بتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى وخاصة ما يخص منها فترة الحروب الصليبية . فالى جانب الأهمية السياسية لهذه الرحلات ، والتى هى جل اهتمامنا هنا ، فقد تمتعت هذه الرحلة بأهمية بالغة لدارسى الجغرافيا التاريخية ، الأمر الذى يبدو من أول وهلة عند قراءة النص الذى تضمن وصفها[٤٧] فقد سلك هيثوم فى طريق عودته الى وطنه طريقا أوضح مما سلكه غيره من رحالة العصور الوسطى الى الشرق[٤٨] .

= النص الى اللغة الانجليزية مع التعريف ببعض المواقع التى مر بها هيثوم ، وان كان تحقيق أسماء هذه المواقع والطرق التى سلكها هيثوم لا يفى بحاجة القارىء العربى ، فقد وردت هذه الاسماء بشكلها الفارسى والصينى وتحتاج الى التعريب الأمر الذى يتطلب بحثا قائما بذاته . انظر :

Kirakos, Hostoire d'Arménie. pp. 463 — 473. C.F. also. E. Bretschneider, Mediaeval Researches, Vol. I, pp. 165 — 172 ; J.A. Boyle, The Journey, in C.A.J., Vol. 9, 1964, pp. 175 — 189 .

= (٤٦) بينما لم يذكر كيراكوس تفاصيل نتائج رحلة هيثوم السياسية ، فقد انفرد المؤرخ الارمينى هايتون بذكر هذه التفاصيل . ونقلها عنه مارينو سانودو . انظر :

Hayton, La Flor, pp. 164 — 166; Marino Sanudo, Liber Secretorum Fidelium Crucis, ed. J. Bongars, in G.D.F., Vol. 2. Hanover. 1621, pp. 236 — 237 .

(47) Boyle, The Journey, p. 175.

(٤٨) سلك هذا الطريق كل من المؤرخ الجوينى والراهب الصينى أحد أتباع ديانة الطاوية شايخ شون فى ١٢٢١ — ١٢٢٤م ، وبى لوشوتشاى وزير جنكيزخان فى عام ١٢١٩م . بينما سلك كل من كاربينى وروبروك طريقا شماليا فى بدايته . وسلك هيثوم حين وصل الى الضفة الشمالية لنهر سرداريا نفس الطريق الذى سلكه كاربينى من قبل . انظر :

Bretschneider. Op. Cit., Vol. I, pp. 9. 35; C.R. Beazley, The Dawn of Modern Geography, Vol. 2 London, 1901, pp. 386, 391.

وبينما ذكر كاربينى موضعين فقط فى هذا الطريق ، فقد حدد هيثوم حوالى ستة عشر موضعا . انظر : Boyle, The Journey, p. 177.

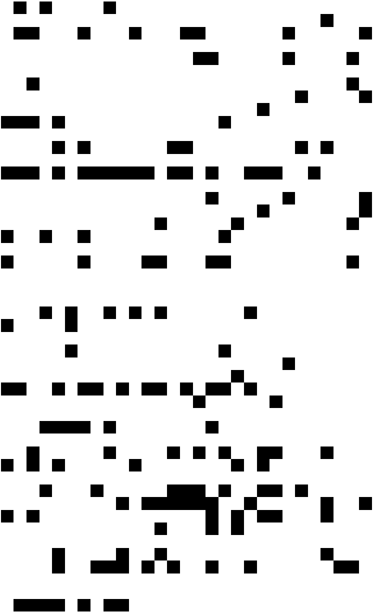

[redacted]
[redacted] [redacted] [redacted] [redacted]
[redacted]
[redacted] [redacted] [redacted] [redacted]
[redacted] [redacted]
[redacted] [redacted]
[redacted] [redacted] [redacted]
[redacted]
[redacted]
[redacted] [redacted]

[redacted]
[redacted] [redacted]
[redacted]

[redacted]

[redacted]
[redacted] [redacted] [redacted]
[redacted]

[redacted] [redacted]